مجلة الرائد

العدد : ٢٣٠ الموافق في جمادى الأولى ١٤٢٢ هجري ٩/٢٠٠١ ميلادي

| عنوان المقال : المرأة .. أول فقيه مستنبط | الكاتب : سها أحمد عبد الحميد |
|---|---|

عمَّت جبروتَ الصحراء أحداثُ الطفولة المفجوعة

اليتم المكثف الذي حفر في مخيلة الطفل محمد ﷺ أقسى النظرات المودعة

الأم الصغيرة التي ترعرعت في أشرف بيوت مكة

نضجت وكبرت وللبلوغ علائمٌ وطقوسٌ في الجاهلية

شَقُّوا قميصها وحجبوا وجهها واصطحبوها إلى دار الندوة

آمنة التي تفرست لها بالأمومة المميزة سَوْدة الزهرية

❁ ❁ ❁

قالت لأمها برة : .. ابنتك هي التي ستلد النذير

تقدَّمَ لآمنة عبد الله بطل قصة الذَّبح الشهير

لم يجد عبد المطلب أشرف من بنت وهب لابنه الأثير

وكانت ليلة مباركة حملت آمنة نور الرحمة بإرادة الله القدير

وبعد برهة قصيرة ودع حبيبته راحلاً مع القافلة القرشية

والوجد يعصف بمودَّته رعشةً ليس لها نظير

ومضى مسيراً إلى غيب كتبه له العلي الخبير

ألمٌ ووحشة وفراق ولوعة ومات غريباً عن الدار في بني النجار

ودفن في يثرب مدينة الأسرار والأنوار

❁ ❁ ❁

كان مصاب آمنة زعيقَ أنينٍ يقطع حبال حنينها كالسهام

عزاؤها أنها سيِّدَةُ أعظم أمومة في تاريخ الأنام

فقد رأت منها نوراً أضاء الأرض فبدت منه قصور بصرى في الشام

ويولد يتيم بني هاشم حاملاً للبشرية أسس السلام

فقط اضمحل الباطل بعد أن جال جولة

إرادة الله يتصدع إيوان كسرى وأن تتكفئ حول الكعبة الأصنام

فالوحدانية ستطفىء نار الفرس التي ظلت مشتعلة ألف عام

❁ ❁ ❁

حملته يد الشفاء بنت عوف القابلة

إلى منفى الرضع أولي العزم في الجاهلية

راحلاً عن صدر أمه الدافئ مع حليمة السعدية

ويرتشف في البادية قطرات الحليب المستأجرة

ويعود إلى الأم الملوعة وقد أتقن العربية

❁ ❁ ❁

وما أن بلغ العمر السادسة

اصطحبته أمه إلى بني النجار في دار النابغة

وزارت معه قبر أبيه وأحسَّ بزفرات حنينها المتلهفة

وفي جبروت الصحراء الصامتة

يعيش محمد ﷺ من جديد نقلة من أبوَّةٍ ما عرفها إلى أمومة مُوَدِّعة

يَقِفُ عند رأس أمه ونظراتها ترتشف ملامحه بشغف ونهم

قائلة لأسماعه المرتعشة

كل حيٍّ ميت وكل جديد بالٍ وكل كثير يفنى

وأنا ميتة وذكري باقٍ وقد تركت خيراً وولدت طهراً

وتلاشى صوتها إلى غياب مذهل في دماء الرمال المكثفة

ويعلو بكاء الغلام محمد .. ، يا لها من فاجعة

وهناك في أم القرى دفَن أمه مع حاضنتة بركة

وعاد إلى مكة فاقداً المربي والمربية

❁ ❁ ❁

كفلته عدالة الربوبية الخالصة

وكُتبتْ له العظمة لا بالبطولات والعبقرية بل بالرسالة والنبوة

ويبلغ أشده ويستوي جمالاً وقوةً وصحةً وطهارة

ويرسم الله له أسس الحياة الأسرية

من الأمومة الغائبة السريعة إلى الأمومة الغزيرة الحاضرة

من حليمة إلى آمنة إلى خديجة ليضع أول لَبِنَةٍ زوجية

❁ ❁ ❁

لقبوها الطاهرة تلك القرشية الأسدية

تزوجت عتيقاً المخزومي بعد موت التميمي ثم افترقا

وبقيت مع عبد الله وهند وزينب وهالة

يقرع بابها أشراف السادات في مكة

رافضةً آثرت البقاء مع أولادها متفرغة لمهمة التربية

❁ ❁ ❁

تستأجر الرجال ليتاجروا لها وتدفع لهم المال مضاربة

ليصل خبر محمد الأمين ﷺ أسماعها فأرسلت إليه غلامها مَيْسَرة

في مهمة تبدو لبشريتنا المحدودة أنها صفقة قرشية

لكن الغيب العالم يهيئ لحبيبه الزوجة الحاضنة

وعادا من بلاد الشام ليخبرها غلامها بالربح الوافر والأخلاق النادرة

❁ ❁ ❁

بحسها العاقل الحكيم أدركت ذاتيته الخالصة

وأرادت خطبته لنفسها فأرسلت إليه سفيرتها نفيسة

وما يمنعك يا محمد أن تتزوج .. ابتدرته بالسؤال

فأجاب كحرٍّ أبي صادق ما في يدي من مال

فقالت : وإن دُعيت إلى النسب والكفاءة والجمال

فرد من عساها تكون ؟ فقالت : أصيلةٌ قرشية

والمرأة الحكيمة لا تقف أبداً عند ظواهر الأحوال

❁ ❁ ❁

أرسل لها أشراف أعمامه أبا طالب وحمزة

ليعقِدا قران محمد وخديجة .. أسرة النبوة

وذابا معاً في بوتقة المودة والرحمة كينونةً وديمومة

امرأة في الأربعين .. الأمومة المؤتمنة

نضوج زوجة متفانية تصل بالزوج إلى ذروة المودة

إعداداً ربانياً لوزيرة صدق في الإسلام

فلا تصبر الزوجة على فراق زوجها وهي صغيرة وغضة

ومحمد كان مع خديجة دائم الخلوة

يتأمل ويتفكر ويتهيأ لعظمة المهمة

وخديجة باستيعابها تدعمه بكل ما تملك من قوة

وتودَّع ابنيها القاسم وعبد الله مُتَصبِّرة محتسبة

وتبقى لها زينب وأم كلثوم وفاطمة ورقية

❁ ❁ ❁

أسرة مثالية .. ربع قرن في بيت الزوجية

ربع قرن سيبقى حجة دامغة للمودة الحقيقية

ليكون كل حدث في حياته درساً يثبت لنا فيه قضيةً إيمانية

وكل زيجة من زيجاته ما كانت لزيادة العدد بتجرُّد أرقامه

بل عبرةً تربوية وللمعدود بذاتيته

❁ ❁ ❁

وبحرَّاء جاءَه الوحي بالحدث الإيماني متذوقاً منه الثقل والمشقة

وعاد إلى مسكنه يرتجف روعاً مرتعدةً أوصاله من تلك الكرامة

ليجد في صدر حبيبته التثبيت والأمل والثقة والسكينة

فهمت الحدث ووعت الخبر وأقسمت مستنبطة

وأنبأته بيقين الرجاء أنه نبي هذه الأمة

ووضعت قواعد القياس بصلته الرحم وصدقه الحديث

وإكرامه للضيف وإعانته على الحق في كل نائبة

واصطحبته معها إلى ورقة

ليؤكد بُشْراها ويستشف له من تاريخ الأنبياء في ما مضى

أنه لا بد سيلقى الكثير من الأذى

في سبيل الدعوة إلى الله الخالصة

❁ ❁ ❁

توجت صفاتها الجليلة بإسلامها وكانت أول مسلمة

وغدت لله ولرسوله داعية

ولاقى زوجها الحبيب الأذى والمقاطعة والمحاصرة

وقضت معه آخر سنتها في شعب أبي طالب قوية محتسبة

وكانت خير وقود وزاد له ليقوى على جبروت الوثنية العاتية

وفي عام الحزن توفيت رفيقة الصدق وزيرة الإسلام خديجة

وبلَّغها حبيبها من ربها السلام وبشرها ببيت في الجنة

وشهد لها أنها من النساء الأربع الكاملات

مريم وفاطمة وخديجة وآسية

❁ ❁ ❁

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٠ الموافق في جمادى الأولى ١٤٢٢ هجري ٩/٢٠٠١ ميلادي

| عنوان المقال : المرأة .. أول فقيه مستنبط | الكاتب : سها أحمد عبد الحميد |
|---|---|

رضي لله عنك أم المؤمنين خديجة

الفقيهة الأولى في عرف الشريعة

وأول دعامة للفهم والاستنباط ومنذ اللحظة الأولى للدعوة

دوّنَكِ التاريخُ علماً من أعلامه المشرفة

أم المؤمنين .. الزوجة الثابتة المرأة خديجة

أنتِ المعلمة الأولى للأئمة قاطبة

